بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المحقق

في مشاركتي بـ «**ندوة أبناء الأثير العالمية**» التي عقَدتْها كُلية الآداب بجامعة الموصل، في الفترة من ٢٧/٣ ـ ١/٤/١٩٨٢م. كان آخر ما ختمتُ به بحثيَ المقدَّم للندوة هو ضرورة إعادة تحقيق كتاب «**الكامل في التاريخ**» لتخليص هذا السفْر الجليل من بعض الشوائب التي علِقَتْ به خطأً من مؤلّفه، أو من النّسّاخَة [1].

ولم يكن يدور في خَلَدي ـ آنذاك ـ أنني سأضطّلع بهذه المهمة الصَّعبة يوماً ما. أو أنّ السادة القائمين على «**دار الكتاب العربي**» في بيروت، يرغبون في إصدار طبعةٍ محَقَّقةٍ تحقيقاً علمياً من هذا الكتاب، خاصة وأنّ جميع الطَّبعات التي أصدرتها دُور النشر في مصر ولبنان جاءت خلْواً من التحقيق العلميّ الجادّ.

وفي العودة إلى الطبعة الأوربية التي نُشِرت بين سنتي ١٨٥١ و ١٨٧١م. في اثني عشر جزءاً بإشراف المستشرق «كارلوس يوهنس تورنبرغ»، وبمعاونة جماعة من المستشرقين، وجدتُ أنّها تتميّز عن الطبعات العربية باعتمادها على مخطوطات باريس، وبرلين، والمتحف البريطاني، واسطنبول، ومخطوطة «شفري» و «راولنسن». ولكنّ هذه الميزة اقتَصَرتْ فقط على مقارنة النُسَخ ببعضها، وإثبات الألفاظ المتقاربة في حواشي النّسخة المطبوعة، دون الإشارة إلى الصواب، والغَلَط، والخطأ، والوهْم والتصحيف، والتحريف. وافتقَرَتْ إلى «التّحقيق» بما تعنيه هذه الكلمة من فنٍّ قائم بذاته. فجاءت حافلةً بمئات ـ بل بآلآف ـ الأغلاط والأخطاء والتصحيفات والتحريفات، خاصّة في أسماء الأعلام، وأسماء الأماكن. ووقَعَ الكثيرُ من الخلْط بين تَرَاجِم الأعلام فتداخَلَتْ أسماء الوَفَيَات ببعضها، أو سقَطَ اسمُ صاحب الترجمة تماماً، ونُسبت سيرتُه وأخبارُه إلى غيره. وخَلَتْ الطبعة من أيّة إحالة إلى المصادر لتوثيق مادّة الكتاب بما فيه من غِنًى في الحوادث والأخبار والوقائع، أو لتصحيح وضبط أسماء الأعلام والأماكن وغير ذلك، إلا فيما نَدَر.

---

(١) أنظر كتاب: بحوث ندوة أبناء الأثير ـ طبعة جامعة الموصل ١٩٨٣ ـ ص ٣١٨.

ولهذا وجدتُني أوافق ـ دون مناقشة ـ على رغبة الإخوة في «**دار الكتاب العربي**» في التّصدّي لتحقيق هذا المصدر التاريخيّ الذي لا غِنَى لكُل الأساتذة والباحثين والقرّاء والطلبة المشتغلين ـ ليس في التاريخ أو التأريخ، فحسب ـ بل لكلّ المُعتَنين في فنون الأدب، والتّراجم، والوَفَيَات، والسِّيَر، والمغازي، والأنساب، وقصص الأنبياء، وأيام العرب، وغيرها. .، وذلك رغم انشغالي ـ في الوقت نفسه ـ بتحقيق الموسوعة التاريخية الضخمة: «**تاريخ الإسلام ووَفَيَات المشاهير والأعلام**» للمؤرخ الحافظ الذهبي، والذي تتجاوز مُجلّداته الخمسين مُجلّداً، وتصدر تباعاً عن «**دار الكتاب العربي**» أيضاً. فضلاً عن المؤلفات والتحقيقات الأخرى التي تصدر بين الحين والآخر.

منهجي في التحقيق

لقد اتّخذتُ الطبعة الأوربيّـة أساساً للعمل، لكونها تعتمد، على عدَّة مخطوطات، كما تَقَدّم، وعدتُ إلى طبعة «المُنِيرية» في مصر، وطبعة «دار صادر» في بيروت، وغيرها من الطبعات الأخرى، توكيداً للمقارنة والمقابلة، واتّبَعْتُ المنهج التالي في التحقيق:

- توثيق كل خبر أو معلومة بالمصادر الأساسية التي اعتمدها المؤلف، وبغيرها من المصادر المعاصرة للحَدَث، والرديفة اللاّحقة التي لم يعتمِدْها، والإحالة إليها في الحواشي.
- توثيقُ التراجم والوَفَيَات، والإحالة إلى مصادرها.
- ضبْطُ أسماء الأعلام والأماكن والمُصْطَلَحات، وتقييدها بالحركات.
- تخريج الأحاديث النبويّة الشريفة من كُتُب الصّحاح، والسُّنَن، والمسانيد. وحصر لفظ الحديث الشريف بين هلالين صغيرين.
- تخريجُ الأشعار والأراجيز، والتّحقُّق من قائليها، وضبط ألفاظها، ومقارنة روايات أبياتها، ورسم مُفْرداتها بين مصدر وآخر، مع شرح وتفسير ما غمض من ألْفاظها.
- شرحُ المُصْطَلَحات والألفاظ الدخيلة، وضبط تقييدها.
- التّعليق على كثير من الأحداث والأخبار حيت تتطلّب الحاجَة، للتوضيح، والتوفيق بين الروايات المختلفة، وترجيح روايةٍ على أخرى.
- بيانُ الأغلاط والأخطاء والأوهام، سواء عند المؤلف، أو عند النّسّاخة، أو في الطبعات العربية والأوربية.
- إبراز ما تفرّد المؤلف بِذِكْره، ولم يذكره «الطبري» في تاريخه، وخاصّة في الأجزاء الأوائل.

- إبرازُ تعليقات وآراء المؤلّف الشخصيّة على بعض الروايات، بحرفٍ يختلف عن حرف المتن عند الطباعة.
- بيانُ الفروقات في العناوين، أو الفقرات أو الألفاظ، ومقارنتها بين النُسَخ المخطوطة، للدلالة على مدى الإختلاف في النّسخ والرسم، وإثبات الصواب أو الصحيح في المتن. والغلط أو الوهْم في الحاشية.
- مقابلةُ االنصوص التي أوردها المؤلف بالمَظَانّ الأساسية التي نقل عنها، والتنبيه إلى الألفاظ أو الجُمَل التي أسقطها أو غيّرَ في رسْمها.
- إضافة بعض العناوين على الأصول للفصل بين الخبر والخبر، ووضع العناوين المُضافة بين حاصرتين [ ]. وفصل «الوَفَيَات» عن «الحوادث».
- حشْد أكبر عددٍ ممكن من مصادر التراجم والوَفَيَات، لمساعدة الباحثين في سرعة الوصول إلى سيرة كلّ صاحب ترجمة. وقد عَمَدْتُ في الأجزاء الأوائل إلى حشد عشرات المصادر للترجمة الواحدة، ولمّا كان في الكتاب تراجمُ وفيات كثيرة في نهاية كل سنة بعد الهجرة النبوية، تقريباً، فقد اكتفَيتُ بالإحالة إلى «تاريخ الإسلام» للذهبي ـ بتحقيقنا ـ ليجد فيه الباحث ما يحتاجه من مصادر، وتوفيراً لِمئات الصّفحات خشْيَةَ تَضَخّم الكتاب ومضاعفة أجزائه.

وما دمتُ في الحديث عن المنهج في التحقيق، فلا بدّ أن أشير إلى أنّني قمت بتقسيم الكتاب إلى فتراتٍ تاريخية محدَّدة، بحيث يختصّ كلّ مجلد بحِقْبَةٍ معيّنةٍ من العصور، وهذا ـ من ناحية الشكل ـ يتيح للباحث أو القارىء أن يقتني المجلّد الذي يشاء، دون الاضطرار لشراء الكتاب بكامله.

فالمجلّد الأول ـ مثلاً ـ يتناول تاريخ الرسل والأنبياء قبل الإسلام، والمجلّد الثاني، يتناول العهد النبوي وعهد الخلفاء الراشدين، والمجلّدان الثالث والرابع يتناولان العهد الأمويّ. . . وهكذا. حتى ينتهي الكتاب في عشر مجلّدات، وتأتي الفهارس العامّة، مع المصادر والمراجع المعتمدة، في المجلّد الحادي عشر.

وعسى أن أكون قد وفّقت في تقديم هذا الكتاب محقَّقاً لأول مرة. معتذراً عن كل خطأ أو تقصير. واللّه الموفق.

طرابلس الشام المحروسة

عمر عبد السلام تدمري

المؤرخ «ابن الأثير»

هو «عز الدين، أبو الحسن، عليّ بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، المعروف بابن الأثير أبي الكَرَم، الشيْباني، الجَزَريّ».

وينسب إلى إقليم الجزيرة الواقع بين نهرَي دجلة والفُرات، المعروف بجزيرة ابن عمر.

قال «ابن خَلِّكان»[١]: والجزيرة المذكورة أكثر الناس يقولون: إنها جزيرة ابن عمر، ولا أدري مَن ابنُ عمر. وقيل إنها منسوبة إلى يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين، ثم إني ظفرت بالصواب في ذلك، وهو أن رجلاً من أهل بُرْقَعيد من أعمال الموصل بناها وهو عبد العزيز بن عمر فأضيفت إليه، ورأيت في بعض التواريخ أنها جزيرة ابنَي عمر: أوس وكاملٍ، ولا أدري أيضاً مَن هما، ثم رأيت في «تاريخ ابن المستوفي»[٢] في ترجمة أبي السعادات المبارك بن محمد أخي أبي الحسن المذكور أنه من جزيرة أوس وكامل ابنَي عمر بن أوس التغلبيّ.

وكانت ولادته في رابع جمادى الأولى سنة ٥٥٥ هـ. (١١٦٠ م.) بجزيرة ابن عمر، وهو من أهلها، ثم سار إلى الموصل مع والده وأخويه، وسكنها، وسمع بها على الشيوخ، وتردّد إلى بغداد حاجّاً ورسولاً من صاحب الموصل، ثم رحل إلى الشام والقدس وسمع هناك من جماعة، وعاد أخيراً إلى الموصل ولزم بيته منقطعاً إلى التوفّر على النظر في العلم والتصنيف، وكان بيته مجمع الفضائل لأهل الموصل والواردين عليها.

وكان إماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به، حيث أقبل عليه في أواخر عُمُره، وسمع العالي والنازل. كما كان حافظاً للتواريخ المتقدّمة والمتأخرة. وخبيراً بأنساب العرب وأخبارهم وأيّامهم ووقائعهم، فصنّف «الكامل في التاريخ» الذي نحن بصدده، واختصر

---

(١) في وفيات الأعيان ٣/٣٤٨ ـ ٣٥٠.

(٢) هو تاريخ إربل المسمّى «نباهة البلد الخامل ممّن ورده من الأماثل». والنص الذي ينقله ابن خلّكان منه ليس في المطبوع الذي حققه سامي بن السيد خماس الصفار ـ طبعة المركز العربي للطباعة والنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بيروت ١٩٨٠.

كتاب «الأنساب» لأبي سعد عبد الكريم بن السمعاني[1]، واستدرك عليه في مواضع، ونبّه على أغلاط وزاد أشياء أهملها، وهو كتاب مفيد جدّاً. قال «ابن خَلّكان»: وأكثر ما يوجد اليوم بأيدي الناس هذا المختصر، وهو في ثلاث مجلّدات، والأصل في ثمانٍ، وهو عزيز الوجود، ولم أره سوى مرة واحدة بمدينة حلب، ولم يصل إلى الديار المصرية سوى المختصر المذكور.

وأضاف ابن خَلّكان: ولما وصلت إلى حلب في أواخر سنة ست وعشرين وستمائة كان عزّ الدين المذكور مقيماً بها في صورة الضيف عند الطواشي شهاب الدين طُغْريل الخادم أتابَك الملك العزيز ابن الملك الظاهر صاحب حلب، وكان الطواشي كثير الإقبال عليه، حَسَنَ الإعتقاد فيه، مُكرماً له، فاجتمعتُ به فوجدتُه رجلاً مُكمَّلاً في الفضائل وكرم الأخلاق وكَثرةِ التواضُع، فلازمتُ التَرداد إليه، وكان بينه وبين الوالد، رحمه اللّٰه تعالى، مؤآنسة أكيدة، فكان بسببها يبالغ في الرعاية والإكرام. ثم إنه سافر إلى دمشق في أثناء سنة سبع وعشرين. ثم عاد إلى حلب في أثناء سنة ثمان وعشرين، فجريت معه على عادة الترداد والملازمة، وأقام قليلاً ثم توجّه إلى الموصل.

وتُوُفّي في شهر شعبان سنة ٦٣٠ هـ. (١٢٣٣ م.) وقد وصفه الحافظ الذهبي بالعلّامة، المؤرخ، الحافظ، وقال: وكان إماماً، نسّابةً، مؤرخاً أخبارياً، أديباً[2]..

وهو أحد إخوة ثلاثة، اشتهر كلُّ واحد منهم بفنّ من العلوم فعِزّ الدين، صاحب هذه الترجمة اشتهر في فنّ التاريخ، وأشهر مؤلفاته «الكامل في التاريخ».

وأخوه «مجد الدّين»[3] أبو السعادات المبارك، اشتهر برواية الحديث الشريف وعلمه، وأشهر مؤلفاته «النهاية في غريب الحديث والأثر».

وأخوه «ضياء الدين»[4] نصرُ اللّٰه، أبو الفتح، اشتهر بالأدب والكتابة والترسّل،

---

(١) توفي ابن السمعاني سنة ٥٦٢ هـ/١١٦٦م. وقد حقّق الأجزاء الستة الأولى من كتابه «الأنساب» العلّامة عبد الرحمٰن المعلمي اليماني، وحقق الجزءين السابع والثامن محمد عوّامة، واشترك معه في تحقيق الجزء التاسع رياض مراد. وحقّق العاشر الدكتور عبد الفتاح الحلو، والحادي عشر رياض مراد ومطيع الحافظ، والثاني عشر الأخير أكرم البوشي. ونشره محمد أمين دمج كاملاً في بيروت ـ طبعة أولى وثانية ١٤٠٠ ـ ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٠ ـ ١٩٨٤ م.

(٢) تاريخ الإسلام (٦٢١ ـ ٦٣٠ هـ) رقم ٥٩٩.

(٣) توفي سنة ٦٠٦ هـ.

(٤) توفي سنة ٦٣٧ هـ.

ووُلّي الوزارة. وأشهر مؤلفاته «المَثَل السائر في أدب الكاتب والشاعر».

ومن مؤلفات «عز الدين» التي وصلتنا أسماؤها:

- «أسدُ الغابة في معرفة الصحابة» (مطبوع في خمس مجلدات).
- «التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية» (مطبوع في مجلّد).
- «تحف العجائب وطُرفة الغرائب» (مفقود).
- «الكامل في التاريخ» وهو الكتاب الذي نقدّم له.
- «اللباب في تهذيب الأنساب» (مطبوع في ثلاث مجلدات).

ويضيف الدكتور «حسين علي محفوظ» إليها: كتاب الجهاد، والجامع الكبير في علم البيان (كذا)، والمستَقْصَى في التاريخ. ولا نعرف عنها شيئاً.

مصادر ترجمة المؤرخ «ابن الأثير»

معجم البلدان، لياقوت الحموي ـ ج٢/ ٩٧ .

إكمال الإكمال، لابن نُقْطَة ـ (مخطوطة الظاهرية) ـ ورقة ٨ .

ذيل تاريخ بغداد، لابن الدُّبَيْثِيّ (مخطوطة كمبرج) ـ ورقة ١٦٠ .

التكملة لِوَفَيَات النَّقَلة، للمنْذريّ ـ ج ٣/ ٣٤٧، ٣٤٨ رقم ٢٤٨٤ .

ذيل الروضتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع)، لأبي شامة ـ ص ١٦٢ .

الحوادث الجامعة، المنسوب لابن الفُوَطيّ ـ ص ٨٨ (في وَفَيَات سنة ٦٣٢ هـ) .

وَفَيَاتُ الأعيان، لابن خلّكان ـ ج ٣/ ٣٤٨ ـ ٣٥٠ .

تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، لابن الفُوَطي ـ ج/ ٤ رقم الترجمة ٣٣٧ .

المختصر في أخبار البشر، لأبي الفداء ـ ج ٣/ ١٥٤

نهاية الأرب في فنون الأدب، للنُوَيْري ـ ج ٢٩/ ١٩٣، ١٩٤ .

ذيل مرآة الزمان، لسبط ابن الجوزي ـ ج ١/ ٦٤ .

الإعلام بوفَيَات الأعلام، للحافظ الذهبي ـ ص ٢٦٠ .

الإشارة إلى وَفَيَات الأعيان، للحافظ الذهبي ـ ص ٣٣٢

المعين في طبقات المحدّثين، للحافظ الذهبي ـ ص ١٩٥ رقم ٢٠٦٧ .

دول الإسلام، للحافظ الذهبي ـ ج ٢/ ١٠٢ .

تذكرة الحفّاظ، للحافظ الذهبي ـ ج ٤/ ١٣٩٩ .

سِيَر أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي ـ ج ٢٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٦ رقم ٢٢٠ .

العِبَر في خبر من غَبَر، للحافظ الذهبي ـ ج ٥/ ١٢٠، ١٢١ .

تاريخ الإسلام وَوَفَيَات المشاهير والأعلام، للحافظ الذهبي (٦٢١ ـ ٦٣٠ هـ) رقم ٥٩٩ .

مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لليافعي ـ ج ٤/ ٧٠ .

طبقات الشافعية، للإسنَوي ـ ج ١/ ١٣٢، ١٣٣ .

طبقات الشافعية الكبرى، للسُبْكي ـ ج ٥/ ١٢٧ (الطبعة المحقّقة ٨/ ٢٩٩، ٣٠٠) .

البداية والنهاية في التاريخ، لابن كثير ـ ج ١٣/ ١٣٩ .

الوافي بالوَفَيَات، للصفدي ـ ج ٢٢/ ١٣٦، ١٣٧ رقم ٨٢ .

العِقْدُ المُذْهَب، لابن الملقّن (مخطوط) ـ ورقة ١٦٥ .
نثر الجُمان في تراجم الأعيان، للفيّومي (مخطوط دار الكتب المصرية) ـ ج ٢/ ورقة ٣٣ .
نزهة الأنام، لابن دُقْماق (مخطوطة باريس) ـ ورقة ٥ .
تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، للديار بكري ـ ج ٢/ ٤١٤ .
تكملة إكمال الإكمال، لابن الصابوني ـ ص ٤ .
العسجد المسبوك والجوهر المحكوك، للخزرجي ـ ج ٢/ ٤٥٥، ٤٥٦ .
الألقاب، لابن حجر (مخطوط) ـ ورقة ٣ .
النجوم الزاهرة، لابن تَغري بَردي ـ ج ٦/ ٢٨١، ٢٨٢ .
تاريخ الخلفاء، للسيوطي ـ ص ٤٦٤ .
طبقات الحفّاظ، للسيوطي ـ ص ٤٩٢ .
تاريخ ابن سباط (بتحقيقنا) ـ ج ١/ ٣٠٤، ٣٠٥ .
تاريخ الأزمنة، للدُوَيْهِي ـ ص ٢١٦ .
شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي ـ ج ٥/ ١٣٧ .
ديوان الإسلام، لابن الغزّي ـ ج ١/ ١٦٦، ١٦٧ رقم ٢٤٦ .
البدر السافر، للعَيْدروسي ـ ص ٢٠ .
طبقات الشافعية، للزيله لي (مخطوطة اسطنبول) ـ ورقة ١٩٨، ١٩٩ .
مفتاح السعادة، لطاش كُبْري زاده ـ ج ١/ ٢٠٦ .
التعليقات، لِلّكنَوي ـ ص ١٤ .
التاج المكلّل، للقنُوجي ـ ص ٩٣
كشف الظنون، لحاجّي خليفة ـ ص ٨٢ و ١٧٩ و ٥٧١ و ١٣٨٠ و ١٤١٠ .
هدية العارفين، للبغدادي ـ ج ١/ ٨٠٦ .
فهرس المخطوطات المصوّرة، بدار الكتب المصرية ـ ج ٢/ ١٢٥ .
فهرس الخديوية، بدار الكتب المصرية ـ ص ١١٥ ـ ١١٧ و ١٢١ و ٢٢٥ و ٢٢٦ .
الرسالة المستطْرَفَة، للكتّاني ـ ص ١٢٥ .
الأعلام، للزركلي ـ ج ٥/ ١٥٣ .
فهرس مخطوطات التاريخ بالظاهرية ـ ص ٦/ ١٦٣ .
تاريخ كَزيدة، لحمد اللّه المستوفي ـ ص ٦٩٦ .
إرشاد القاصد، للسخاوي ـ ص ١٨ .

الإعلان بالتوبيخ، للسخاوي - ص ٤٥٢ و ٤٥٤ و ٥٧٣ و ٦٠٢ و ٦٧٢ و ٦٧٣.
تاج العروس، للزَّبيدي - ج ٣/ ٥٦ (مادّة: أثر).
إكتفاء القنوع بما هو مطبوع، لفنديك - ص ٧٢، ٧٣، و ٩٠ و ٣٨٣.
تاريخ آداب اللغة العربية، لجُرْجي زيدان - ج ٣/ ٨٧، ٨٨.
معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة، ليوسف اليان سركيس - ص ٣٦ - ٣٨.
الكِنَى والألقاب، للقُمّي - ص ٥١٧، ٥١٨.
هديّة الأحباب، للقُمّي - ص ٤٧، ٤٨.
سفينة البحار، للقُمّي - ج ١/ ١١.
تتمّة المنتهى، للقُمّي - ٤٧، ٤٨.
التعليقات السنيّة على الفوائد في تراجم الحنفية، للّكْنَوي (هامش ص ١٤).
منهل الأولياء، للعمري - ج ١/ ٢٠١، ٢٠٢.
فهرس الخزانة التيمورية - لأحمد تيمور - ج ٣/ ٨.
رَيحانة الأدب، للمدّرس - ج ٥/ ٢٤٢.
تاريخ الموصل، للقسّ سليمان صائغ - ج ٢/ ٩٨، ٩٩.
الموصل في العهد الأتابكي، لسعيد الدّيوه جي - ص ٩٧ و ١٧٧.
عِلم التأريخ عند المسلمين، لروزنثال - ص ٦٥ و ٧٨ و ٨٠ و ١٤٠ و ١٥٣ و ٢١٢.
دائرة المعارف الاسلامية، لجماعة مستشرقين - ج ١/ ٨٢، ٨٣.
دائرة معارف البستاني، لبُطْرُس البُستاني - ج ٢/ ٣٢٤، ٣٢٥.
القاموس الإسلامي، لأحمد عطيّة اللّه - ج ١/ ٢٤.
أبناء الأثير في المراجع العربية والأجنبية، للدكتور حسين علي محفوظ.

الكامل في التاريخ

يُعتبر «الكامل في التاريخ» من أهمّ المصادر التاريخية عند المؤرّخين المسلمين بما يُعرف في «العصر الوسيط» لشموليّته تاريخ العالم الإسلاميّ من أقصى بلاد الهند ونواحي الصين، شرقاً، حتّى أقصى بلاد المغرب والأندلس، غرباً، وتناوُلِهِ لأخبار الروم والفرنج الأوربيّين، وأخبار الكُرْج، والبلغار، والصّقالبة، والأرمن، وغيرهم من الأُمم. وتَغْطِيتِهِ لفترةٍ طويلةٍ من عصر الحروب الصليبية، وهي المرحلةُ الحافلةُ بالأحداث الخطيرة، والتي تعرّضتْ فيها بلاد الشام ومصر لخطر الحملات والاحتلال، ومرحلةُ المقاومة والنضال، وتحريرُ الرُّها وبيت المقدس. إذ كُتِب لمؤلِّفه أن يعاصر أُسرَتَينْ جاهد أفرادُها في اللّه حقّ جهاده ضدّ الغُزاة الأوربيّين الصّليبيّين الذين استهدفوا ضرْبَ مقوِّمات الأمة، هما الأسرة الزّنكيّة، والأسرة الأيّوبيّة، فهو من ناحيةٍ، عاش في كنَفَ الزّنكيّين بحكم إقامته في المَوْصل قاعدةِ ملكهم. ومن ناحيةٍ أخرى فقد رافق السلطانَ الناصرَ صَلاح الدّين في بعض غزواته ضدّ الصليبيّين. إذ يذكر في حوادث سنة ٥٨٤ هـ. أنه كان شخصياً مع السلطان صلاح الدين حين نزل تحت حصن الأكراد الواقع داخل حدود «كونتية طرابلس» الصّليبيّة، ولكنّه لا يصرّح إنْ كان قد رافقه في إغارته على الحصون القريبة من هناك، ووصوله إلى قرب طرابلس الشام حيث «أبصر البلاد وعرف من أين يأتيها، وأين يسلك منها» ورغم ذلك، فإننا نصبح أكثر ثقةً وتثبُّتاً بما يرويه «ابن الأثير» عن هذه المنطقة في تلك الحقبة، فهو الأقرب إليها زماناً ومكاناً، وهو هنا يماثل الكاتب المؤرّخ «العماد الأصفهانيّ» بمُعاصرته ومُعايشته للأحداث، ومرافقته لصلاح الدّين، وكذلك الأمرُ بالنسبة للمؤرّخ «بهاء الدين ابن شدّاد» صاحب كتاب «النوادر السُّلطانية في المحاسن اليُوسُفيّة».

وإذا كان «ابن الأثير» قد اعتمد في تاريخه على كتاب «تاريخ الرُسل والملوك» لابن جرير الطبريّ اعتماداً أساسياً، وصرّح بذلك في أكثر من موضع، فإنه أتى بأخبار ووقائعَ لم يذكُرها «الطبري» في تاريخه. إذ من المُلْفِت للاهتمام، ويدعو للتساؤل والاستغراب، أنَّ «الطبريّ» مع تَتَبُّعه المُسْهَب لحركةِ الفتوحات الإسلامية في أقاصي بلاد الشرق وبلاد الغرب، فإنه يُهمل الحديث تماماً عن كيفية فتح المسلمين للساحل الشاميّ،

وخصوصاً للمدن المعروفة: بعلبكّ، وطرابلس، وبيروت، وصيدا، وصور، وغيرها من مدن الساحل، مع أنه يعرف ساحل الشام، وتحديداً ساحلَ دمشق، بشكل خاصّ، فقد زاره أثناء طَلَبِه للعِلْم، ونزل بيروتَ وأقام فيها مدّة وقرأ القرآن بالرويات العَشْر على الحافظ المقرىء «العباس بن الوليد بن مَزْيَد العُذْري البيروتيّ» [1]. فأتى «ابن الأثير» ليسُدّ هذه الثغرةَ في «الكامل»، فنقل خبر تلك الفتوحات عن «فتوح البلدان» للبلاذُريّ. وهذه قضيّة واحدة من جملة قضايا، أهملها «الطبري» وعمل «ابن الأثير» على إثباتها وتدوينها اعتماداً على المصادر القديمة المعروفة لدينا، أوالمصادر القديمة المفقودة التي لم تصلنا.

وبذلك يكتسب «الكامل» نقطتين على «تاريخ الطبري»:

الأولى: إحاطتُه لمعلومات إضافية مهمَّة نَدَّت عن «الطبري».

الثانية: حِفْظُهُ لنصوص أخبار ضاعت مصادرها الأساسية.

وفي هذا السياق، لا بدّ من الإشارة إلى المنهجية التأريخية التي انتهجها ابن الأثير في «الكامل»، وهي إسقاطه للروايات المتكرّرة التي حشدها «الطبري» في تاريخه، ونقْدُه لها، والأخْذُ بصحيحها، وتهذيبُها من الأسانيد المُثقلة للرواية والخبر، وأظهر بذلك حسَّه التأريخيّ الواضح والمتفوّق عمّا عداه من العلوم والفنون التي شارك فيها.

وإذا كان قد حذا حذْو «الطبري» في تأريخه لبداية الخلْق والزمان وصولاً إلى البعثة النبوية وظهور الإسلام، مروراً بتاريخ الرُسُل والأنبياء، فإنّه لم يسلّم بكلّ ما نقله عنه، بل أعمل النقدَ في مواضع كثيرة، وزاد عليه باباً مهمّاً تناول فيه «أيام العربِ في الجاهلية» لتأصيل تاريخ الأمّة العربية، وهذه فلسفة للتاريخ القوميّ حرص مؤرّخنا أن يشدّد عليها في مضامين «الكامل».

ويكاد كتاب «الكامل» أن يكون النموذج الأول في كتب التواريخ العامّة المعروفة بالحوليّات، التي اهتمّت بعرض الوقائع والأحداث في مختلف بقاع الدنيا ـ المعروفة آنذاك ـ، وتسجيل الوَفَيَات في نهاية كلّ سنة، مع التزام الإختصار. وأصبح هذا المنهج في تدوين التاريخ والتراجم هو المنهج التقليديّ الذي اتّبعه المؤرّخون اللّاحقون أمثال «أبي الفداء» في «المختصر في أخبار البشر» و «الحافظ الذهبي» في «تاريخ الإسلام ووفَيَات

---

(١) أنظر كتابنا: موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ـ ق ١ ج ٣/ ٢٠ ـ ٣٣ رقم ١٣٥، بيروت ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

المشاهير والأعلام» و«ابن كثير» في «البداية والنهاية» و «المقريزي» في «السلوك لمعرفة دول الملوك» و «ابن الجَزَري» في «حوادث الزمان وأنبائه ووفَيَات الأكابر والأعيان من أبنائه»[1]، و «ابن حجر» في «إنباء الغمر بأنباء العمر»، وغيره.

ولن أطيل على القارىء الكريم في عرض ما يتميّز به «الكامل» عن المصادر التاريخية الأخرى، فهو قد بلغ من الشُهرة ما يكفيه. ولكنّني أودّ، في الختام، أن أنوّه بأنّ مؤلّفه «ابن الأثير» المقيم في الموصل، دوّن في ثناياه أخباراً مُسْهَبَة ودقيقة عن بلاد المغرب والأندلس لا نجدها في كثير من المصادر المغربية أو الأندلسية المعاصرة. وهذه واحدة من الخصائص المميّزة التي ينفرد بها «الكامل» دون سواه من مدوّنات عصره في المشرق والمغرب على السواء.

---

(١) أنهيتُ تحقيقه عن النسخة الفريدة بخط المؤلّف وسيأخذ طريقه للطباعة قريباً بإذن الله تعالى.